

الممارسات الاتصالية عبر الشبكات الاجتماعية

- مراجعة نظرية في ضوء الطّروحات الفكرية لأمبرتو إيكو -

Communicative practices through social networks

- *A theoretical review in the light of Umberto Eco's arguments* -

رحيمة بن الصغير

المركز الجامعي بريكة

rahima.benseghir@cu-barika.dz

يعقوب بن الصغير *

المركز الجامعي بريكة

مخبر الممارسات الفنية والثقافية/ جامعة قسنطينة 3

rahima.benseghir@cu-barika.dz

تاريخ القبول 2026/04/17

تاريخ الاستلام 2026/01/31

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إعادة قراءة ومراجعة لأهم الأطروحات الفكرية التي ميّزت أعمال المفكر والفيلسوف الإيطالي أمبرتو إيكو والمرتبطة بموضوع الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، وذلك بعد مرور نحو عقد كامل عن آخر أعماله الفكرية، حيث يتكئ البحث في مسار تجميع المعلومات والرؤى التي خاض فيها على أهمّ الحوارات واللقاءات العلمية والصحفية التي نعتبرها مرتكزات مرجعية يمكن أن نسترشد بها لممارسة الفهم والتأويل والمراجعة النقدية في نطاق السوسيولوجيا والتواصل، لفك إشكالية البحث المتمحورة في: كيف ينظر أمبرتو إيكو للانترنت وللعالم الرقمي، وما هي أبرز المسائل الجوهرية التي ميّزت أطروحاته؟

الكلمات المفتاحية: الاتصال؛ المستخدم؛ الانترنت؛ الشبكات الاجتماعية؛ وسائل الإعلام.

Abstract:

This study aims to revisit and critically examine the most significant intellectual propositions that characterized the works of the Italian thinker and philosopher Umberto Eco, particularly those related to the internet and social media networks. Nearly a decade has passed since his last major intellectual contributions, and this research relies on collecting insights and information from his most prominent scientific and journalistic interviews and discussions. These are considered foundational reference points that can guide our processes of understanding, interpretation, and critical review in the field of sociology and communication, in an attempt to answer the core research question: How did

Umberto Eco view the internet and the digital world, and what are the most essential issues that defined his theses?

Keys Words: Communication, user, internet, social media networks, media.

* المؤلف المرسل

إشكالية البحث:

لقد أحدث ظهور شبكة الانترنت نقلة حقيقية في حياة البشر في كثير من القطاعات وعبر مختلف المستويات، وأخذت تتغير تدريجياً حياة البشر، تصوراتهم، سلوكياتهم... وأشكال تعاطيهم مع الواقع المعيش؛ فالانترنت كما يقول فرانك روز Frank Rose في كتابه "فن الانغماس" The Art of Immersion، هو أول وسيط يمكن أن يعمل مثل جميع الوسائط. يمكن أن يكون نصاً أو صوتاً أو فيديو أو كل ما سبق. إنها غير خطية، وذلك بفضل اعتمادها على الربط التشعبي، (McGrum, 2011) فالانترنت مثل الباكورة التي يمكن أن ترحل بمستخدمها صوب الوجهة التي يريد وفي الوقت الذي يختار.

منذ وقت ليس ببعيد كنا متفرجين ومستهلكين سلبيين لوسائل الإعلام. أما الآن وعلى اليوتيوب والمدونات وفيسبوك وتويتر، فنحن أشبه بـ "وسائل إعلام"، نتعامل مع البرامج التلفزيونية والأفلام وحتى الإعلانات كدعوات للمشاركة، كتجارب نغمس فيها كما نشاء، فما نعيشه الآن هو ظهور شكل جديد من أشكال السرد، وهو شكل أصيل في عالم الإنترنت. (Rose, 2011) أصبحنا اليوم شركاء في الصورة والصوت والحقيقة التي تصلنا - هذه العناصر - كمتلقين بطريقة أو بأخرى، أين تماهى المرسل والمتلقي داخل بوتقة واحدة يصعب الفصل بينهما، فالعالم الرقمي أعاد تشكيل منظومة الاتصال من جديد وألحّ على ضرورة مراجعنا للثنائية التقليدية مرسل - مستقبل.

وفي خضم هذا التصاعد القوي للوسائط التكنولوجية وتغلغلها في حياة الناس، برزت الآراء ووجهات النظر والمواقف العلمية وغير العلمية حيال هذه التكنولوجيات التي بدأت تحيط بنا من كل جانب، بين متفائل ومتغن بالمكاسب والغنائم المجتمعية والثقافية التي وفرتها، وبين متشائم، معارض ومتوجس من تبعات حضور التكنولوجيا واستخدامها وتبنيها وسط الناس، وبين اتجاه ثالث يقف بمسافة محايد متوقع وغير متسرّع لإطلاق الأحكام والتقييمات قبل فهم تجربة الانخراط في الشبكة لتقييم ما بعد الاستخدام. ولعلّ الآراء والتصريحات التي قدّمها الفيلسوف والروائي الإيطالي Umberto Eco والتي جاءت على تقطع، كانت من أبرز الأطروحات المستفزة التي توقفت عندها الكثير من الكتابات العلمية والصحفية لما أثارته من جدل ونقاش عميق حيال نظرته للانترنت وللعالم الرقمي.

لقد كان التصريح الذي أدلى به على هامش حفل أقيم في جامعة تورينو لمنحه جائزة الشرف لثقافة الاتصال والإعلام والذي قال فيه "وسائل التواصل الاجتماعي تُعطي جحافل من الحمقى الحق في الكلام، بعد أن كانوا يتحدثون فقط في البار فور شربهم لكأس النبيذ، دون أن يضرروا المجتمع لكن سرعان ما كان يتم إسكاتهم، أما الآن صار لديهم الحق نفسه في الكلام مثل الفائز بجائزة نوبل،

إنَّه غزو الحمقى". (ECO, 2015) بمثابة من أضرم النار على نفسه آنذاك، حيث استغلته وسائل الإعلام متهمة إياه بأنه ضد اللحظة وضد كل من "يريد أن يقول شيء" عبر وسيط جديد جاء حاملاً معه فجراً جديداً معه حرية التعبير وسلطة القول. إنَّ هذا التصريح الجدلي الذي يعد اليوم مرجعاً لكثير من الباحثين الذين يشتغلون على علاقة الانترنت والتكنولوجيا بالإنسان وبالحيوة اليومية، يدفعنا لإعادة قراءة هذا التصور وفهمه أكثر في سياق متحدثه وفي سياقنا الآن، وما صاحبه من تغيرات وتبدلات في البيئة الرقمية مع اتساع مساحة القول والتعبير أكثر، بل وظهور أشكال ومناخات تكنولوجية جديدة.

لذلك فإنَّ هذه الورقة العلمية تركّز على هذه الأطروحة وغيرها من الأطروحات الفكرية المهمة فيما له علاقة بالرأهن التكنو-اتصالي والذي كان قد تناولها وغاص فيها المفكر Umberto ECO ضمن انشغالاته العلمية وحوارته الصحفية بثنائية تكنولوجيات الاتصال والحيوة اليومية؛ ولم يكن ECO متشائماً من حظوة التكنولوجيا في يوميات المستخدمين، بقدر ما كان متوجساً من طرائق الاستخدام وتبعات التبنّي التكنولوجي، وتأثيرات الاستخدام غير الواعي لهذه الوساطات التكنولوجية على فعل "القراءة" تحديداً، بحكم اهتمامه بالعالم الأدبي والروائي أيضاً.

على أنَّ تناولنا لمختلف الطروحات التي ناقشها ECO يأتي في ضوء جمعنا وبحثنا عن مختلف الأفكار والتصورات التي كان قد كتبها أو صرّح بها أو ترجمتها كتابات غيره من المهتمين بفكره، قبل أن نحاول أن نربط هذه الطروحات بواقعنا التكنو-اتصالي واستخدامات الأفراد لمختلف التكنولوجيات ومواقع الاتصال الحديثة، التي لا نتصور - مبدئياً - أنها قد تتعارض مع ما أشار إليه هذا المفكر.

استتباعاً لما سبق، يثير هذا البحث إشكالية علمية جوهرية: كيف ينظر أمبرتو إيكو للإنترنت وللعالم الرقمي؟ وما هي أبرز المسائل الجوهرية التي ميّزت أطروحاته؟ وعلى ضوء هذه الإشكالية تثار خمسة تساؤلات محورية:

- من أي زاوية شغل موضوع "الاتصال" اهتمام المفكر أمبرتو إيكو؟
- ما هي مؤشرات التوجس التي يثيرها إيكو تجاه ثنائية شبكة الانترنت والأفراد المستخدمين؟
- ما موقع الإعلام التقليدي وعلى وجه الخصوص "المطبوع" في ظل ثورة الانترنت والعصر الرقمي؟
- لماذا تحمل أطروحات إيكو المرتبطة بالعالم الرقمي الكثير من الجدل الفكري بين رجالات الصحافة والسياسة؟
- سوسيولوجياً، كيف يتمظهر المعنى الذي ينتجه المستخدمون في الفضاء التواصلي وفقاً لمقاربة إيكو؟

المنهجية المعتمدة في المراجعة النظرية:

أ. إعتبرات بحثية لاختيار النصوص:

إن أهم معيار لاختيارنا لمصادر البحث " نصوص إيكو" هو التركيز على بنية المفاهيم المساعدة على تفكيك الخطابات العلمية لإيكو وفق إشكالية البحث. حيث اعتمد البحث على مراجع متنوعة من خلال أعمال منقولة عنه وهي:

والتي جاءت بشكل استثنائي بالاطروحات والأفكار التي أدلى بها أمبرتو «إيكو» في الكثير من اللقاءات، والتي تشكّل أرضية معرفية مناسبة للفهم والتأويل واستقراء توجهاته المباشرة وغير المباشرة، وأبرز هذه اللقاءات المرجعية:

- الحوار الذي أجراه مع لي مارشال Lee Marshall المنشورة عبر موقع وايرد Wired عام 1997 تحت عنوان "العالم وفقاً لإيكو" (The world according to Eco)،
- المحاضرة التي ألقاها في افتتاح مكتبة الإسكندرية عام 2003، بعنوان "الذاكرة النباتية والمعدنية: مستقبل الكتب" (Vegetal and mineral memory: The future of books)،
- المقابلة التي أجرتها صحيفة The New York Times Magazine من خلال كاتبها سلومون ديبورا Solomon, Deborah عام 2007، وفي صفحة أسئلة لأمبرتو إيكو (Questions for Umberto Eco)،
- الحوار الذي أجراه مع صحيفة Le monde من خلال الصحفي Eric Fottorino عام 2010 تحت عنوان "أنا فيلسوف يكتب الروايات" (Je suis un philosophe qui écrit des romans)؟

يمكن القول إن كل ما قاله إمبرتو إيكو حيال المسائل الجوهرية المرتبطة بالإنسان، الانترنت، الشبكات الاجتماعية، العالم الرقمي والحياة اليومية، يحتاج إلى وقفة تأمل وتفكير أو كما تقول Martini Kristo "لم يأت من فراغ"، وقد جاءت مراجعتنا وتحليلنا في هذا البحث لأفكاره وأطروحاته بغرض الوقوف على مدى واقعية وعمق تلك الأطروحات بعد نحو عقد كامل عن آخر أعماله أو لقاءاته الفكرية (2015).

ب. المنهج المستخدم:

الخطاب الثقافي والسيميائي غالباً ما يحتاج لتوليفة منهجية تنتقل بالتحليل من الوصف إلى السياق التاريخي والمقارنة ومن ثم التفسير النقدي، لقد تجاوزنا الوصف نحو بناء قراءة نقدية تحليلية للمفاهيم الرئيسية لنصوص «إيكو» وهو ما يتضح في استخدامنا للمنهج التحليلي النقدي في معالجة النصوص المعتمدة للمراجعة. استناداً على المفاهيم المركزية كإطار نظري عام، إضافة إلى فهم المعنى الاتصالي والرمزي في الإعلام.

1. شبكات التواصل الاجتماعي ومسارات التحول في بيئة الإنسان/ المستخدم:

لا شك أن "إيكو" عاصر أهم فترة في تاريخ تكنولوجيات الاتصال الحديثة فهو لم يبرح هذا العالم إلا في سنة 2016، أي أنه كان شاهداً ومرافقاً لمختلف التحولات والتطورات التكنولوجية المختلفة التي طرأت على أوجه الاتصال الإنساني، لذلك من الأهمية بما كان الوقوف عند أطروحاته المختلفة حيال استخدامات الناس من حوله لهاته الوسائط المختلفة في يومياتهم، ماذا يمكن أن

تضيف لهم وماذا يمكن أن تسلب منهم، على اعتبار أن «إيكو» كتب في كل ما له علاقة بالاتصال من ثقافة وأدب وأناسة ومجالات أخرى متفرقة.

وعلى الرغم من أن «إيكو» كان من أبرز المعجبين بالظاهرة التكنولوجية وبشبكة الانترنت التي فتحت باب الاتصال الحر وعمقت من إمكانية الوصول إلى المعرفة بمختلف أشكالها، إلا أنه راجع موقفه وأعاد نظره نحو هذه التكنولوجيا الحيوية في ظل واقع استخدامات الناس لها والمظاهر الحياتية الغرائبية التي أفرزتها، ما دفع به إلى دق ناقوس الخطر وتحذيره علناً من إمكانية سيطرة من يسميهم بالأغبياء على منابر القول وعلى فضاءات صنع القرار. (لخوص، 2015) فالتكنولوجيا مسألة حيوية في النظام الاجتماعي ويجب الانتباه إلى من يديرونها.

في عمق هذه التحولات التكنولوجية التي شهدتها العالم -ولا يزال -في العقود الثلاث الأخيرة، يشير محمد قيراط إلى أن الاتصال الجماهيري في عصر البيئة الجديدة للإعلام أصبح أكثر عدالة وحرية، إذ باتت العمليات الاتصالية تقوم على قاعدة "من الجماهير إلى الجماهير" many to many؛ فالجمهور المستخدم في عصر البيئة الإعلامية الجديدة بات يشارك في عمليات الإنتاج والاستهلاك من خلال المحطات العديدة المتوفرة له سواء كانت محطات للاستهلاك أو محطات للإنتاج والتوزيع.

إن هذه النظرة أو القراءة لقيراط هي النظرة الشائعة لدى جمهور الباحثين والفاحصين لطبيعة التحولات التي أفرزتها البيئة الرقمية وهي نظرة أكثر تفاؤلية، فيها الكثير من الإعجاب لما جاءت به التكنولوجيا، غير أن «إيكو» يتتبع واقع هذا التحول الذي طرأ في الحياة اليومية مع تغلغل الأدوات والوسائط التكنولوجية في حياة الناس من زاوية أخرى؛ من القارئ إلى المستخدم، من مشاهد التلفاز إلى متصفح الإنترنت؛ وبعيداً عن هذا التنقل في المصطلح، يتساءل «إيكو» "ما الذي تغير حقاً في الانتقال من عصر "التلفاز القديم" إلى حاضر الإعلام الرقمي؟ هل يمكننا حقاً الحديث عن التفاعلية؟ إن وجهة نظره أن التغيير حدث في الواقع وليس في الجوهر، يقول: (ICS Interview, 2025)

"مع عولمة الاتصال، أصبح الأمر أشبه بالتواجد في المسرح مع الممثلين الذين يرددون "راوند راوند راوند راوند" لخلق ضجة في الخلفية؛ التواصل عبر الإنترنت أصبح راونداً كبيراً مقدراً له أن يتلاشى. نحن نتواصل بشكل أقل بكثير من قراءة الصحف."

بهذا التصور يعتقد إيكو أن التفاعل تلاشى مع العصر الرقمي، وغاب المتلقي في الحضور الفعلي، إنه اللا تفاعل الذي فرضه المنطق التكنولوجي كحتمية اتصالية، والذي من شأنه أن يضعف مع مرور الوقت ذكاء المتلقي وسلطته ووجهة نظره، هذا إذا لم يقصيه أصلاً من الحضور.

في واقع الأمر لم يكن أمبرتو إيكو معارضاً للطرح التكنولوجي أو الثقافة الرقمية الجديدة أو متشائماً بالمطلق مع كل ما يحيل إلى "تكنولوجيا" - مثلما اتهم في كثير من النقاشات الصحفية -، مع أنه يعترف بأنه خارج هذه المنظومة، وهو الذي ولد قبل عصر التكنولوجيا الجديدة وتشكلت فيه ثقافة هيمن فيها نموذج غوتنبرغ للكلمة المكتوبة حسب تعريف مارك برينسكي Marc Prensky، لذلك يرى في نفسه واحد من الناس الذين يُطلق عليهم اسم المهاجر الرقمي digital immigrant، والذين

كانوا بحاجة إلى التكيف مع التكنولوجيا بطريقة مختلفة عن الأبناء الرقميين، ومع مرور الوقت ألفوا الشبكة. (Martini Kristo, 2017, p. 52)

حتى أن «إيكو» كان يدعو إلى تحقيق العدالة وإعطاء "الحق الرقمي للجميع" من باب خلق نخب من الجماهير، حيث يقر أن أجهزة المودم الحديثة والاتصال بشبكة ISDN والأجهزة الحديثة تفوق إمكانيات أغلب المستخدمين المحتملين - خاصة عندما تحتاج إلى التّحيين كل ستة أشهر. لذا يجب أن يُمنح الناس إمكانية الوصول والتّفاذ المجاني إلى الأنترنت، أو على الأقل بسعر الاتصال الهاتفي الضروري. (Bizzarri, 2022) هذا يُلّل على أن إيكو لم يكن معارضاً حقيقة لحضور التكنولوجيا في يوميات الناس، وإنما أراد أن ينبّه إلى وجود جملة من المخاوف التي ينبغي عدم إغفالها، فتحت أي ظرف تظل الأنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي تلعب دوراً مهماً في حياة البشر، مثلما لعبت دوراً في حياته الشخصية والمهنية كما يقول.

إن نظرة أمبرتو «إيكو» لشبكات التواصل الاجتماعي - وهو الذي عايشها لفترة الانطلاقة - ما هي في الحقيقة إلّا امتداد لنظريته لجهاز الإعلام ككل، ولا يمكن الجزم هنا بالمنطق التّشاؤمي المطلق - مع أنه يمكن ذلك - وهذا يظهر من خلال كتابه "الفاشية اللّافكرية" الصادرة ترجمته إلى الفرنسية عن دار غراسيت، والتي طرح فيها 14 قضية وموضوع، ناقش في أحدها مسألة إعادة بعث حقيقة أن الإعلام الغربي أصبح متلاعب به؛ ويستشهد هنا بالقضية الفلسطينية وكيفية تعامل هذا الإعلام معها، فالحرية والتحرر مصطلحان لا قيمة لهما في ظل الإبادة الجماعية التي يتعرّض لها الشعب الفلسطيني باستمرار.. والكيان هو أكثر الفاشية في العالم. (قسيمي، 2024)

2. استخدام التكنولوجيا في الحياة اليومية: مسائل وتحديات من وجهة نظر Umberto ECO

لقد رأى أمبرتو إيكو في الشبكات الاجتماعية ظاهرةً إيجابية ليس فقط لأنها أداة تتيح التواصل بين الناس مع بعضهم البعض. حيث يتأمّل تلك الأحداث التي جرت في الصين أو تركيا، حين تعاضمت موجة الاحتجاجات الكبيرة ضد أردوغان عبر المنصّات الرّقمية، بفضل شبكة التواصل الاجتماعي (تام تام)، يذكر أن أحدهم قال أنه لو كانت شبكة الأنترنت موجودة في زمن هتلر لكان من المستحيل إقامة معسكرات الاعتقال، لأن المعلومات كانت لتنتشر بسرعة". (Martini Kristo, 2017, p. 54)

مع هذا الإعجاب بحضور الشبكات الاجتماعية وفعاليتها في حياة الناس المتّصلين بينهم، لا يُمكن في المقابل إنكار النّظرة التّشاؤمية التي كان ينظر بها إيكو نحو هذه الشبكات؛ هو في العمق لا يمكنه إنكار المكاسب التي جاءت بها، لكن بالمقابل لا يُمكن أن يتغافل عن جملة المسائل والتّحديات التي يجب الوقوف عندها:

1.2. تعليم فن الغرلة وإقصاء المغلوط.

وفي رده عن سؤال وجه له فخواه "قلت في أحاديث الصحفية أن الانترنت هي فضيحة ذاكرة le scandale d'une mémoire من دون غربة، حيث لن نعد نميز بين الخطأ والحقيقة" يجب: "في المستقبل سيكون هدف التربية تعليم فن الغربة؛ لم يعد من الضروري تدريس أين تقع كاتماندو أو من كان أول ملك لفرنسا بعد شارلمان [...] علينا أن نطلب من التلاميذ أن يتفحصوا الخمس عشرة موقعاً كي يحددوا في النهاية أي موقع هو الموثوق به، علينا أن نعلمهم تقنيات المقارنة". (Fottorino, 2010)

وإذا ما استوقفتنا جائحة Coronavirus التي استفحلت وانتشرت في العالم بأسره، نلاحظ عمق ما كان ينذر به «إيكو»؛ حيث أن المتتبع البريء لتطورات الفيروس وانتشاره في الجزائر يجد نفسه تائهاً بين عشرات المصادر والتقارير الرسمية وغير الرسمية التي تعطي أرقاماً وإحصائيات متضاربة، زادت في منسوب الخوف والشك والاضطراب، خصوصاً مع التزام الجهات الرسمية للصمت غير المبرر؛ وهي الجهات المتمثلة في مديريات الصحة لكل ولاية والمخوطة لإيضاح الوضع الصحي العام... وهذا كان مدعاة لزيادة الأخبار المغلوطة والكاذبة في المحيط الاجتماعي العام. والسؤال المطروح هنا: كيف يمكن أن يعرف المواطن/ المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي أن يغربل الصحيح والأكيد من الكاذب والمُلق؟ وأي التقنيات الأكثر نجاعة للمقارنة بين المنشورات والتقارير المعروضة عليه كل حين لسل الخبر اليقين؟ إذا كانت - المقارنة والغربة كفن - يصدق في هذه الحالة -.

مع هذا لا ينظر إيكو للانترنت من زاوية العواقب السلبية فقط، إذ وهو الذي يعترف بأنها "أداة ذات إمكانيات كبيرة، تستخدم في الغالب بطريقة وهمية"، يؤكد أن الانترنت يمثل ميزة للحصول على الموارد والمعلومات إذا ما تم استخدامه بحس نقدي وتصفية المحتوى المفيد. يقول بطريقة ساخرة: "فقط فكر، على سبيل المثال في فائدة الإنترنت للمواد الإباحية!". (ICS Interview, 2025)

صحيح أن الجمهور المُستخدم اليوم تحرر من قيود الإعلام، حيث لم تعد القضايا المجتمعية المثارة في حياته اليومية من قبل وسائل الإعلام تستجيب لما يبحث عنه، لم يعد أيضاً مكتفياً بما توجه له من قضايا وأحداث ووقائع بالطريقة التي ترسمها له، لكن بالمقابل أيضاً لا ينكر أحداً فوضى المعلومات المغلوطة والأخبار الكاذبة والتحليلات العمياء التي أصبحت تُدار وتُشارك وتسبح في المواقع الاجتماعية كل يوم؛ وفي هذا إحصاء صادم من دراسة تقرر أن للأخبار المُلَفَّة Fake News على منصة تويتر Twitter فرصة انتشار تتجاوز الـ 70٪ مقارنة بالحقيقة. (بن الصغير، 2018)

لذلك دعا «إيكو» إلى ضرورة وجود "صحافة مسؤولة" متمكنة وقادرة على الاهتمام بالممارسات ذات القيمة الثقافية وتبشر ببداية دور جديد لوسائل الإعلام في عصر الفردية غير المستقرة والنزعة الإستهلاكية والتي وصفها بتعبير "نهم بلا هدف"، حيث طالب بإدراج صفحتين على الأقل يومياً لتحليل مواقع الإنترنت، وتوضيح أيّ منها ذو قيمة وأيّها ينشر المغالطات. إذ من جهة، سيحفز ذلك الجمهور على قراءة الصحافة، ومن جهة أخرى، التثويه على أن المستخدمين ليسوا متجانسين، وليس جميعهم في وسعه تمييز الأفكار المتخبطة والعشوائية عن الأفكار الجيدة

والسّليمة الصياغة. (BEJAN, 2025, p. 63) ما يؤكد على أنّ مشكلة إيكو ليست مع الوسيلة أو الوسيط الرّقمي وإثما في الممارسات التي تحدث بداخله وفي كيفية إدارة وسائل الإعلام وفهمها لهذا العالم الذي يظل خادماً ومفيداً للبشر.

لم يستسغ «إيكو» ممارسات وسائل الإعلام والصحافة، وكان قد حذر في إحدى لقاءاته من مخاطر وتبعات ما أسماه بالشّعبوية الإعلامية Media populism، والتي عبر عنها بكونها تعني مخاطبة الناس مباشرة من خلال وسائل الإعلام، فالسياسي الذي يتمكن من السيطرة على وسائل الإعلام يمكنه تشكيل الشؤون السياسية خارج البرلمان وحتى إلغاء وساطة البرلمان. (Solomon, 2007) أي ممارسة السياسة باستغلال المنابر الإعلامية وتوجيه الرأي العام صوب ما يريده حتى ولو كان خارج قاعات البرلمان الذي ينشط فيه.

2.2. تكنولوجيا الثّروة وغزو الحمقى

لقد غزت مواقع التواصل الاجتماعي حياة الأفراد، معطيةً النّاس المجهولين منهم صوتاً مسموعاً لم يكن متاحاً لهم من قبل، حتى وإن كانت هذه الظاهرة الجديدة والعادلة التي منحت سلطة القول للجميع، ظاهرة خطيرة كما يعتقد "إيكو" بفعل ما أسماه بـ "غزو الحمقى"؛ ومبرره في هذا "أنّ وسائل التواصل الاجتماعي تُعطي جحافل من الحمقى الحق في الكلام، بعد أن كانوا يتحدثون فقط في البار فور شربهم لكأس النبيذ، دون أن يضرروا المجتمع لكن سرعان ما كان يتم إسكاتهم، أما الآن صار لديهم الحق نفسه في الكلام مثل الفائز بجائزة نوبل، إنّه غزو الحمقى". (Eco, 2015) بعد هذا التصريح بالذّات خرجت وسائل الإعلام لتكتب في صحفها عناوين على شاكلة "إيكو ضد وسائل التواصل الاجتماعي"، "إيكو وأضرار الإنترنت"... وغير ذلك. (Martini Kristo, 2017, p. 52) والواقع يُثبت أنّ ما ذهب إليه «إيكو» صحيح، فاليوم أصبح الجميع يتحدث في كل شيء وبأي شيء، يفهم في شؤون السياسة، الاقتصاد، الصّحة، الرّياضة... مرّة رجل دين ومرّة خبير اقتصادي ومرّة أخرى أخصائي نفسي... لقد سمحت مواقع التواصل باعتلاء السّطحيين في كثير من الأحيان منصات القول والكلمة عبر هذه الفضاءات على حساب أصحاب القول المفترضون، ولم يعد غريباً أن نجد الحمقى - بوصفهم «إيكو» - يسيطرون على المشهد الاجتماعي في كل صاعدة ونازلة في مؤشر خطير يمس البنية الاجتماعية ومراكز قرارها.

مزمنة مع ما أسماه آلان دونو Alain Deneault بنظام التفاهة، ظهرت مخاوف "إيكو" من اللوثة الشّبكية التي أصابت الأفراد بانغماسهم المفرط والعشوائي في شبكات التواصل الاجتماعي، انغماس لا مشروطاً يعكس ارتجالاً في التعاطي مع الوسائط التكنولوجية. وصّف إيكو للارتجالين بالأغبياء والحمقى في مختلف ادعاءاته الفلسفية، يبرر مخاوفه من مآلات استخدامهم للنّقرة، كمن يعطي ريشة فنان لجندي، لا هو رسم ولا حارب بها. مخاوف من استطراد المعنى للّا معنى وهذا ما يصنعه الحمقى على حد قوله.

وبالعودة إلى جائحة Coronavirus، نجد أنَّ عوام المجتمع من الذين يملكون حسابات على موقع الـ Facebook، وبعد نفاذ الصيدليات ومحلات المواد الشَّبه صيدلانية من المعقِّمات ومواد التُّطهير المختلفة قد بدأوا في رفع حملات من خلال المنشورات والمشاركات، يدعون فيها المرضى إلى تحضير وتناول خلطة المعقِّم في البيت من خلال مزج الماء والجافيل والخل والكحول مع بعضهم البعض، من دون أن يدركوا العواقب الممكنة لهذه الخلطة أو تلك. ويظهر هنا حجم الوباء المعلوماتي الذي استفحل بشكل متوازٍ مع الوباء الفيروسي Coronavirus بين أوساط المستخدمين.

وقد واجه إيكو بعد أطروحته هذه الواردة في مقاله موجة من الانتقاد والاستنكار، حيث اتهمه الكثيرون بالنخبوية والاقصائية مع احتكار الحق في التعبير وإبداء الرأي، بل حتَّى من اتهمه بمعادة الديموقراطية لأنَّ الأنترنت هي بمثابة "أغورا" جديدة يجب ألاَّ يُقصى فيها أحد، واتهم أيضاً بأنَّه يقدِّم رؤية رجعية وقديمة في موضوع الشبكات الاجتماعية. مع هذا أدلى الصحفي في صحيفة Stampa، جيانلوكا نيكوليتي Gianluca Nicoletti، في رده: "لا يمكن أن تكون هناك أفكار متولدة في الثقافة الرقمية إذا لم نقبل فكرة الوقوف جنباً إلى جنب مع الجانب المظلم من القوة". (Martini Kristo, 2017, p. 52)

مع كل هذا عاد إيكو إلى الموضوع نفسه في عموده المعروف في مجلَّة "إسبريسو" الإيطالية، حيث اقترح الاحتكام إلى مبدأ مباشر وهو أنَّه لا يحقُّ لأي شخص الكلام في موضوع ما، إلَّا إذا كان مُلمًّا به إلماماً كبيراً. ثم أضاف ساخراً "لكن هل بوسع أحد إسكات الأغبياء؟". (لخوص، 2015)

ويستشهد إيكو بمثل حينما سألته صحيفة Le Midi Libre شهر ماي 2015 إذا ما كان يرى أن الإنترنت من شأنه أن يشوِّه عقول النَّاس، أجاب بأنَّه عليك فقط أن تكون مسلحاً لاستخدامه. تماماً مثل السيَّارة الخارقة التي يجب أن تعرف كيف تقودها، إذا لم تعرف ذلك ستصطدم حتماً بالحائط". في النهاية الانعكاسات ليست داخل الحانة فقط، هناك حمقى الكمبيوتر، تماماً كما يوجد حمقى الـ Walkman الذين نراهم يندنون ويصرخون في حفلات الروك. (Leportois, 2016) وهذا التصريح ما هو إلَّا تلميح لما قاله في حفل جامعة تورينو، حينما وصف الوضع بـ "غزو الحمقى".

3.2 أمن الكتاب الورقي في ظل تغوُّل الرقمي.

إن الحديث عن تموقع الكتاب في حياتنا اليوم، يدفعنا إلى العودة لعام 2003، أين ألقى أمبرتو إيكو محاضرة في افتتاح مكتبة الإسكندرية بعنوان "الذاكرة النباتية والمعدنية: مستقبل الكتب" Vegetal and mineral memory: The future of books وفيها قال "بشرى سارة: ستظل الكتب لا غنى عنها"، وكان المغزى من حديثه هو تفكيك الخوف الذي كان ينتاب النَّاس من مستقبل الكتب، أين تناول هذا الخوف من زاويتين؛ أولهما القلق بشأن مستقبل الكتاب المجلَّد، وثانيهما القلق من تغير ما يقرأه النَّاس عادةً. (Brookins, 2012)

في ظل النقاش المتزايد حول قيمة ومستقبل الوسائل التقليدية في ظل عصر التكنولوجيا وتساعد الأدوات الرقمية، ظهر موقف أمبرتو إيكو ليحتفي بقوة الورقي حتَّى مع بزوغ عصر الرقمي،

وظل مدافعاً قوياً للطرح التقليدي ولربما كان هذا هو سبب انتقاد الكثيرين له ولأعماله الفكرية، يرى إيكو أن الكتاب يبقى هو الكتاب نفسه ثابت وבלق لن يتغير في جوهره، يقول هنا: (Weigel, 2016) "سيحدث أحد الأمرين، إما أن يستمر الكتاب كوسيلة للقراءة، أو أن يحل محله ما كان عليه الكتاب دائماً، حتى قبل اختراع المطبعة. لم تعدل التعديلات التي أدخلت على الكتاب - كشيء - من وظيفته ولا من قواعده لأكثر من 500 عام"

ويؤكد على هذا الرأي في كتابه "لا تبتعد عن الكتاب" (N'espérez pas vous débarrasser des livres) رفقة جان كلود كاريير (Grasset)، بقوله: (Fottorino, 2010)

"الكتاب مثل العجلة أو الملعقة أو المطرقة. الكتاب الورقي هو نفسه أقرب إلى الكمال."

يحيلنا إيكو إلى حقيقة أن التكنولوجيا لم تغير فقط في شكل المنتجات التي نقرأها أو قوالبها، وإنما حتى في الموضوعات التي تتناولها الكتب وبالتحديد "الروايات الأدبية" هذا باعتباره كاتباً روائياً قبل أن يكون دارساً ومهتماً بالمسألة التواصلية، حتى أنه يتحدث عن ظهور الكتب الإلكترونية المحسنة لم يغير فقط الموضوعات التي يتم الاستغال عليها في الروايات المعاصرة، بل غير أيضاً إنتاج الروايات وتوزيعها وتلقيها. إذ في الوقت الذي تقدم فيه الكتب الإلكترونية التقليدية (PDF) النص في شكل رقمي بحث وتتم قراءتها بشكل خطي / عادي، تتميز الكتب الإلكترونية المحسنة بدمج محتويات إضافية جاذبة، كالصور والحركة والمؤثرات الموسيقية ومقاطع الفيديو والمواقع الإلكترونية. ما يعني أن فعل القراءة بات ميّالاً إلى التفاعلية وقائماً على الوسائط المتعددة بشكل متزايد. (Weigel, 2016)

وعلى الرغم من أنه لا ينبغي المبالغة والمغالاة في حقيقة أن الكتاب لا يعوض أو أن الرواية لا تعوض - الكتابات الروائية من منظور إيكو -، يقول Andrew Brookins أن النص الشعبي سيحل محل الرواية بطريقة أو بأخرى حيث تبدو المسارات المتشعبة أكثر ملاءمة للمستقبل من الرواية القديمة المتجمدة. ومع ذلك لا شيء حقيقةً يمكن أن يحل محل الرواية، أو على الأقل الجانب الجوهري في الرواية، وهو عدم قدرتنا كقراء على تغيير القصة. هذا هو نفس الاستنتاج الذي توصل إليه إيكو في حديثه: الرواية تعكس الواقع الإنساني. ماضينا متجمد، وهذا هو مصدر كل المآسي... لا يمكننا تغيير ما حدث. (Brookins, 2012)

والمُتتبع لوجهات نظر «إيكو» يجد أنه متوجس كثيراً من أداء وتموقع التكنولوجيا في حياة الناس، هو يؤمن بالملموس وليس المجرد، إذ وفي ردّه عن خصوصية الكتاب عند القراءة يبرّر «إيكو» وجهة نظره في أن الكتاب لا يزال لغاية اليوم يُشكّل الوسيلة الأضمن لحفظ المعلومات وتعميمها، وذلك لثلاث أسباب: (Fottorino, 2010)

- الأول وكما يعتقد أنه الوسيلة الأكثر راحة وملاءمة للقراءة، على الرغم من أن كثير من الشباب يقول "لا، أنا أقرأ بأريحية على الآيباد".

- الثاني يرتبط بالحنين إلى الشيء، بالتحديد الحنين إلى الكتاب، إذ كما يقول لو عدت إلى القبو لأبحث عن بينوكيو وأنا في الثامنة من عمري والذي كتبت عليه بعض الجمل، لعادت إلي تلك العواطف التي لن أجدها على أي قرص مرن يحتوي نص بينوكيو.
- أما الثالث كما يعدد «إيكو» ، فيرتبط بديمومة المحتوى "أنه بالنظر لعمره لو كان ذلك في ذلك الزمان، لما استطاع إيجاد ديسك بينوكيو، لأنه فقد مغناطيسه ولن يعمل؛ وهنا تُطرح مشكلة أخرى؟ أن أجهزة الكمبيوتر تتغير بطريقة كبيرة لدرجة أننا نجهل معها عمر الديسك، وهل سيصمد أمام الزمن.

كما نجد أن فكرة "الحنين إلى المطبوع" التي يتحدث عنها "إيكو" تعد شرطاً من شروط التربية الإلكترونية؛ فهذه الأخيرة لا تشمل جملة القواعد والضوابط والاستراتيجيات التي ترتبط باستخدام التكنولوجيا، وإنما أيضاً بالبقاء على الخط مع الوسيلة القديمة/ الأصل، على اعتبار أن الوسيلة الجديدة -في الأداء - لا تلغي الوسيلة التي قبلها وإنما تكملها وتضيف لها، في حركة تجاسر وتداخل شديدة بين الوسائل المختلفة التقليدية والحديثة.

3. إنتاج وتشوه المعنى في الفضاء التواصلي بمقاربة إيكو: مراجعة سوسيولوجية

سوسيولوجيا، ينظر إلى أفعال الإنسان على أنها امتداد لثقافته والمقبول من الممارسات في بيئته، الحق والثرثرة ميزتان من ميزات الهوية الرقمية اليوم، فالكثير من المستخدمين ينتهجون أسلوب الحق والغباء من أجل حصد تفاعل نوعي، هذه الأفعال السطحية يدرجها «باريتو» في قوله بأن أعمال الإنسان لا تقتزن كلها بالتعقل ولا بمعرفة الأسباب وبأنها لا تخضع للتعقل ويضرب أمثلة ليشير بأنها لا توضح غاياتها ولا تتفق العقول على وسائلها. (معتوق، 2024). هذه الغائية منحت الفعل خاصية التكرار لتجعله فعلاً اجتماعياً. يطلق عليها ما أسماه باريتو بالرواسب وهي الرغبات والدوافع التي يحقق من خلالها فعلاً غير عقلي (معتوق، 2024، صفحة 331) كفعل الحق.

وإننا إذ نخرج على فلسفة المعنى التي تشبع بها فكر «إيكو» في تبليغ المعنى، وأمام القوة التفسيرية للمعنى عنده نجد أنفسنا أمام حتمية فهم الكيفية التي ينتقل بها المعنى "الحق، الفراغ التعبيري، العشوائية اللغوية، السخرية، العنف اللفظي، التراسق اللفظي،...)، يتعزز المعنى بفهم السياق السوسيوي تفاعلي لمقولات إيكو عن وسائل التواصل الاجتماعي، لفهم رمزية التفاعلات والسياقات الاجتماعية التي بُنيت فيها العلاقات الافتراضية، يصعب فهم الفعل التواصلي خارج المعنى الهابرماسي ولا يمكن فهم إعادة إنتاج التصورات خارج التمثلات الموسكوفيتشية كما أسهب فيها موسكوفيتشي Mosocovici. ما يعبر عنه الحمقى في فضاء الانترنت يعود بنا لفهم الفعل التمسرحي الغوفماني وأن الموقع الاجتماعي للمتكلم يعطيه سلطة الكلمة، وأمام قوة الذات المتخفية يستعير المستخدم موقع اجتماعي مزيف يمنحه أحقية الكلمة.

إن هذا التحول الغريب والتمويه الذي يمنح العامة صلاحيات النخبة بإدلاء الرأي في الفضاء العمومي وإنتاج الخطاب والتأثير جماهيرياً خلق نخبا مزيفة وأنتج تفاعلا مشوها، تنتج فيه معان مؤسسة على الزيف، هذه هي هواجس إيكو في تزييف المعنى ونقله من نخبويته إلى دون ذلك. وهو لا يقصد الإهانة بنعته " الحمقى " بل يرفض انخراط فئة لا علاقة لها بالرأي وبالخطاب، فئة لا مرجعية لها. إيكو لا يتهم الحمقى بقدر ما يكشف تشويه أفعالهم التواصلية. هؤلاء حسبه ينتجون معان عرجاء تقلص الفوارق بين أهل الاختصاص والنقاد وبين من لا علم لهم ولا دراية. فمن كان يحلم بالأمس القريب ب لقاء عالم في مجاله أضحى اليوم يجادله بما ليس له علم فيه. ينسج إيكو تشبيهاً قويا بين الحانة وشبكة الانترنت، وهو تشبيه ذا معنى، أراد به أن يصف الحمقى بالسكارى تسقط منهم المسؤولية الاجتماعية والإدراك والفعل العاقل وغيرها وينوه إلى أن أفعالهم وكل ما يكتبونه لها خطورة على الجمهور المتلقي في الفضاء المفتوح الذي ضمّ فضاء الحانة إليه، إن المخاوف الفعلية لإيكو تكمن هنا في انتقال المعنى أي في انتقال ثقافة الحانة إلى الفضاء المفتوح مما أدى إلى خلق فضاء عام تفاعلي مؤطر بالفوضى ولن نبالغ إن قلنا بأننا أمام ظاهرة أنومية، أمام سعار رقمي نعلم أين تكمن علته.

استنتاجات في ضوء تساؤلات البحث:

إستناداً إلى ما أثرناه من تساؤلات علمية مع انطلاق البحث يمكن التأكيد وبإيجاز على النقاط الجوهرية الآتية:

■ يعتبر موضوع الاتصال و"الاتصال الرقمي" تحديداً، من أهم الموضوعات أو الدروس التي شغلت اهتمام إيكو، بحكم أنه ناقد روائي وسيميولوجي، ويهمه شكل الخطاب الذي أنتجته المنظومة التكنولوجية، ولا تعني جملته الشهيرة "لقد درست الفلسفة، أعتبر نفسي فيلسوفاً بقدر ما أعتبر علم السيمياء بمثابة الشكل الفلسفي الوحيد الممكن اليوم إذ أن الباقي ليس سوى أدب. أنا فيلسوف أعمل بالفلسفة من الإثنين إلى الجمعة، أما في عطلة نهاية الأسبوع فأكتب الروايات منذ أن كنت في عمر الثامنة والأربعين"، (Fottorino, 2010) أنه فيلسوف في الفلسفة فقط، فقد كان بحق فيلسوف الاتصال أيضاً، إذا ما راجعنا عمق ودلالة تعابيره اليوم في الفضاء الاتصالي، مع لا وعي المستخدمين في البيئة الرقمية، إنتشار الأخبار المغلوطة، تعاظم أزمة الممارسات المرفوضة لوسائل الإعلام، الشعبوية الإعلامية واستغلال المنابر الإعلامية لتحريك وتوجيه الرأي العام.

وينظر «إيكو» للاتصال من زاوية أن التكنولوجيا فتحت آفاق التعبير بشكل غير عادل؛ حيث أصبح أي شخص يستطيع أن يصل للآخر دون قيود ودون منظومة رسمية تؤطر ما يودّ قوله، وهذا سرعانما خلق فئة من الناس أسماها بـ "جحافل الحمقى" التي انتشرت عبر شبكات التواصل الاجتماعي، تتحدث في كل شيء وعن أي شيء، وكأن لها رأي يجب أن يُسمع.

■ يتمثل تخوّف «إيكو» أساساً من عالم الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي في إمكانية إضعاف ملكة العقل مع انحاء طريق الفهم، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ فئة من المستخدمين هشة، غير متعلّمة ومنهرة بالتكنولوجية، حيث يمكن أن تتعاطى مع المعلومات والصور التي تسبح في الفضاء الافتراضي دون غرلة أو تصفية، ولعلّ هذا ما عبّر عنه إيكو بعبارة "الأنترنت فضيحة ذاكرة" le scandale d'une mémoire، حيث لم يعد التمييز فيها بين الخطأ والحقيقة ممكناً.

مقابل هذا التوجّس، لا يخفّ إيكو إعجابه بمزايا هذه التكنولوجيات الجديد التي يمكن أن تكون داعمة للإنسان ومساعدة له في تسهيل حياته، فقط إذا استخدمها بطريقة مسؤولة وواعية.

■ رافع إيكو في كثير من أطروحاته ولقاءاته العلمية "للكتاب الورقي" وحاول أن يقنع الجميع بأنّ الكتاب لن يزول حتّى مع عنفوان الرّقمي، ولعلّ هذا من جهة، راجع إلى ولعه وهوسه بالكتاب والكتابة فهو قاص، سارد، روائي وناقد... ومن جهة أخرى، لقربه واحتكاكه العميق بسوق النشر والتوزيع وللجمهور القارئ. وكل هذه مبررات كافية لعقد هذه المقارنه، والبحث عن أفق الكتاب الذي شعر ببداية بغروبه مع بزوغ عصر الرّقمي.

وصلاً بهذا المقام، نجد أنّ "إيكو" كان قد خاض في مجال النّقد الأدبي وأسّس نظريته في فنون السّرد تأسيساً مهيّباً، مع أنّه لم يؤلف في مجال الرواية إلّا سبع روايات أراد في كلّ منهن أن يستعرض مقدّراته الكتابية وآراءه في مواقف تاريخية واجتماعية معيّنة. وقد كانت رواية "الشعلة الخفية للملكة لوانا" آخر رواياته التي وصلت للقارئ العربي بفضل ترجمة معاوية عبد المجيد، مع أنّها الخامسة من حيث التّرتيب. (ممدوح، 2020) هذا بالإضافة إلى أعماله الروائية الأخرى؛ اسم الورد، الأثر المفتوح، القارئ في الحكاية، باودولينو...

بشكل عام، المتتبع لوجهات نظر «إيكو» حول الكتاب وقيّمته يجد أنّ فيه الكثير من النوستالجية والتقدير لهذا الكيان/ الشيء في حياة الإنسان، وأنّ التطوّرات التكنولوجية المتواصلة لم تأت لتسكت صوت الكتاب عن إصدار الصدى في الحياة اليومية للقراء، بقدر ما هي إعادة تأكيد وتثمين لدوره وقوّته في هذا العصر: "العصر الذهبي للقراءة والكتابة"، وهذا ما أقرّه إيكو في عمله "هذه ليست نهاية الكتاب" This is Not the End of the Book، حيث يقر: "يعيدنا الكمبيوتر إلى مجرة غوتنبرغ؛ فمن الآن فصاعداً، على الجميع أن يقرأ". (McGrum, 2011)

■ يعتبر «إيكو» واحداً من أبرز المفكرين المعاصرين الذين عرفوا بصناعة الجدل طوال مسيرتهم الفكرية، وكثيراً ما كانت كتاباتهم في عين رقابة رجالات الإعلام في إيطاليا وأوربا وحتى العالم، لاعتبار أنّه معروف بالخروج عن المألوف والتّفكير خارج الصندوق، حتّى إذا اتفق الجميع على رأي واحد. ولعلّ الرّفص الذي عبّر عنه رجالات الصحافة والسّياسة، كان رد فعل

طبيعي لما كان يقوله ويكتبه ضدّهم، حيث اتهم الصحّافة بتنصّلها عن المسؤولية وإسهامهما في انتشار الأخبار المغلوطة بطريقة أو بأخرى، مع تعاضم الممارسات المرفوضة التي هوت بالذّوق العام وأسهمت في تراجع القيم... وغيرها. وكذلك رجالات السيّاسة الذين خلقوا "شعبوية إعلامية" في الوسط العام، واستغلّوا المنابر الإعلامية وعلاقاتهم الجيّدة مع الصحفيين لتمرير ما يودّون قوله، وتحريك وتوجيه الرأي العام صوب ما يخدمهم ويخدم الجهات التي ينضوون تحتها.

قريبًا من هذا، يظهر جليًا اليوم حاجة مؤسسات وشبكات الإعلام الإخبارية - وليس فقط الأفراد المستخدمين - إلى التّحقّق من طبيعة ومحتوى المضامين المتداولة عبر نطاق وسائط ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، فمبدأ "الشك هو سبيل الوصول إلى الحقيقة" الذي آمن به المذهب الجشطلتي قديمًا، على الصناعات الإعلامية أن تؤمن به أيضًا؛ التّحقّق من هوية مرسلي المضامين الاجتماعية، مدى صدقية مقاطع الفيديو المنبّئة، براءة الصور من التلاعب وعمليات التّقطيع والفبركة والفوتوشوب، الهوية الحقيقية للحسابات الافتراضية، صحة الصّوت البشري المُسجّل... وغيرها من الممارسات التي تحويها منصات وشبكات الاتصال الحديثة، والتي يمكن لها أن تزيد في حالة الفوضى في عالم اتصالي متشابك يزداد تعقيدًا يومًا بعد يوم.

- تبعًا للتّحليل السوسيولوجي في البحث، نجد أنّ «إيكو» لا يتهم الحمقى بقدر ما يكشف تشوّه أفعالهم التّواصلية في الفضاء الرّقمي، فهؤلاء من وجهة نظره ينتجون معانٍ ناقصة تقلّص الفوارق بين أهل العلم والاختصاص والنقّاد من جهة وبين من لا علم لهم ولا دراية من جهة ثانية. وهذا التّحول الغرائبي المفاجئ الذي يمنح العامّة صلاحيات النخبة بإدلاء الرأي والاستعراض في الفضاء العمومي وإنتاج الخطاب والتأثير جماهيريًا من شأنه أن يخلق مع مرور الوقت نخبًا مزيفة وينتج تفاعلا مشوّها، تنتج فيه معانٍ مؤسسة على الرّيف والوهم. وهذه هي أكبر هواجس المفكّر إيكو حيال إنتاج المعنى ونقله من نخبويته إلى دون ذلك. وبالتالي هو لا يقصد الإهانة بنعته "الحمقى" بقدر ما هو يرفض إنخراط فئة لا علاقة لها بالرأي وبالخطاب في تشكيل الواقع ورسم معالمه.
- يحاول البحث إعادة صياغة أفكار «إيكو» من منظور تحليلي حداثي في سياقات اتصالية لم تكن موجودة زمن إنتاج نصوص إيكو بهذا الشكل، وإعادة قراءة خطابه لضبط حدوده التفسيرية حول الوسائط الرقمية والثقافة الجماهيرية وهذا هو جوهر البحث.
- البحث لا يتبنى موقف «إيكو» فحسب، بل يدعو للمقاربة النقدية والابستمولوجية في فهم الممارسات الاتصالية المعاصرة والنقاش العلمي حول الثقافة والوسائط ووفق السياقات البيئية الرقمية التي لم يعاصرها «إيكو» بالشكل الحالي.

خلاصة البحث:

بناءً على ما سبق وتأسيساً على المعطيات والمسائل المتناولة يظهر أن «أمبرتو إيكو» لم يكن متشائماً من مواقع التواصل الاجتماعي ووسائلها المختلفة، بقدر ما كان متوجساً من استخدامات الناس لها؛ حيث أن الفرد هو الذي يتبنى ويملك هذه التقانات ويضفي عليها معانيه المختلفة، حيث يتمظهر الخطر في تلك المعلومات والأفكار التي يتناولها العوام سواء بعلم أو بجهل كما سبق تناوله. والخطر الحقيقي يحوم حول المدرسة والمجتمع على وجه التحديد، ففي الواقع ليست هنالك مؤشرات جدية تناقش خطر الإنترنت، ولم يستهدف "إيكو" من وراء كلامه جعل الناس يبتعدون أو يعتزلون الشبكة. وإنما أراد مساعدتهم على الاستخدام السليم والواعي له، وبحس نقدي مناسب - كما أقرت كريستو سلفاً -.

واستئناساً بالطروحات التي خضعت للمراجعة والتحليل، لا يمكن إنكار حقيقة جدية الآراء والمواقف والتصرّيات التي أدلى بها أمبرتو إيكو تجاه الواقع الرقمي واستخدامات الناس للأدوات والشبكات الاجتماعية، أين تتمظهر هذه الحدية وهذه التثاؤمية من خلال استخدامه لمصطلحات مباشرة أكثر قساوة مثل غزو الحمقى، الثرثرة... بل وحتى اتهامه المتكرر لمستوى وسائل الإعلام والأدوار التي تقوم بها مجتمعيًا، مع استخدام مصطلحات: الشعبوية الإعلامية، الإقصائية... وغيرها. ولعلّ هذا الذي خلق شرخاً بينه وبين المحيط الصحفي الذي لم يتوان في تحرير عناوين ضده من قبيل "إيكو ضد وسائل التواصل الاجتماعي"، "إيكو وأضرار الإنترنت"... مع اتهامه بمعادة الديمقراطية واحتكار الحق في التعبير وإقصاء الآخر.

لكن بالمقابل لا يمكن إنكار النظرة الحكيمة والاستشرافية لإيكو، وهو الذي رافع لضرورة خلق مبدأ المسؤولية في عمل الصحافة، وتجاوز السطحية والتثفيه والعشوائية التي تتعامل بها مع جمهور عام غير متجانس، من خلال إرساء الممارسات ذات القيمة الثقافية، وتعليم الناس معرفة الصحيح من الخاطئ والمقبول من المرفوض، وتعريفه بطرائق اكتشاف واستلال الأخبار والمعلومات الخاطئة وتحبيدها عن الموثوقة، فمشكلة إيكو لم تكن أبداً كما سبق الإشارة إليه مع الانترنت كشيء ولا شبكات التواصل الاجتماعي كأدوات يقترب بها الناس من بعضهم البعض، وإنما في الممارسات التي تحدث بداخل هذا الفضاء وفي كيفية إدارة وسائل الإعلام وفهمها لهذا العالم الذي يظل خادماً لجمهور المستخدمين، فالانترنت بالمُجمل لا تقصي، بل تعتمد على العقل الذي يستخدمها.

قائمة مراجع البحث:

أ. المراجع باللغة العربية:

1. جمال معتوق. (2024). *رواد علم الاجتماع*. الجزائر: دار الكتاب الحديث.
2. سمير قسيمي. (18 07 2024). *الفاشية اللا فكرية الجديدة كما فضحها أمبرتو إيكو*. تاريخ الاسترداد 27 12 2024، من الجزيرة. نت.

3. عمارة لخصوص. (13 06, 2015). *أمبرتو إيكو وتكنولوجيا الثثرة*. تاريخ الاسترداد 23 06, 2025، من العربي الجديد: <https://www.alaraby.co.uk/>

4. نضال ممدوح. (21 02, 2020). *صدور النسخة العربية لرواية "الشعلة الخفية" للإيطالي «إيكو»*. صحيفة الدستور المصرية. تم الاسترداد من 3008093 <https://www.dostor.org>

ب. المراجع باللغات الأجنبية:

1. BEJAN, Ş. (2025, 03). *The Communication Contract Between the Public and the Press*. *ACROSS Journal of Interdisciplinary Cross-border Studies*, 08(01), pp. 63 - 71. doi:<http://dx.doi.org/10.35219/across.2024.1.07>
2. Bizzarri, C. (2022, 07 21). *How Umberto Eco's internet prophecy came true*. Retrieved from Quartz: <https://qz.com/621238/how-umberto-ecos-internet-prophecy-came-true>
3. Brookins, A. (2012, 11 25). *Revisiting Umberto Eco's Future of the Book*. Retrieved 06 19, 2025, from Andrew Brookins: <https://andrewbrookins.com/tech/the-present-of-books/>
4. Eco, U. (2015, 08 11). *Con i social parola a legioni di imbecilli, Lo scritto all'attacco: "Danno spazio allo scemo del villaggio". E La Rete si spacca*.
5. Fottorino, E. (2010, 10 11). *"Je suis un philosophe qui écrit des romans"*. *Le Monde*. Récupéré sur https://www.lemonde.fr/livres/article/2010/10/11/umberto-eco-je-suis-un-philosophe-qui-ecrit-des-romans_1423637_3260.html
6. ICS Interview. (2025, 02). *Umberto Eco and the digital buzz*. Retrieved 06 18, 2025, from International Communication Summit: <https://internationalcommunicationsummit.com/en/ics-newszone/ics-interview/umberto-eco-and-digital-buzz>
7. Leportois, D. (2016, 02 20). *Les nouvelles technologies selon Umberto Eco, ce faux troll*. Consulté le 06 22, 2025, sur Slate: <https://www.slate.fr/story/114411/nouvelles-technologies-umberto-eco-faux-troll>
8. Martini Kristo, R. (2017, 02 13). *Umberto Eco and Emotions in The Time of Internet*. *International Journal of Social and Educational Innovation (IJSEIro)*, 04(07). Retrieved from <https://www.journals.aseiacademic.org/index.php/ijsei/article/view/102>
9. McGrum, R. (2011, 05 08). *The web allows stories to be spun in new ways*. Retrieved 06 22, 2025, from The Guardian: <https://www.theguardian.com/books/2011/may/08/deep-media-fiction-web-mccrum>
10. Rose, F. (2011). *The Art of Immersion: How the Digital Generation Is Remaking Hollywood, Madison Avenue, and the Way We Tell Stories* (01 ed.). New York, United States of America.
11. Solomon, D. (2007, 11 25). *Umberto Eco: The Dangers of Media Populism*. Retrieved 06 23, 2025, from The New York Times Magazine: <https://www.nytimes.com/2007/11/25/magazine/25wwln-Q4-t.html>
12. Weigel, A. (2016). *New narrative forms in the digital age : the emergence of enhanced e-books*. *On_culture: the open journal for the study of culture* 1, 01. doi:<http://dx.doi.org/10.22029/jlupub-7037>